جامع حران الكبير، دراسة تاريخية معمارية

أ.د. حسن محمد نور عبد النور•

الملخص:

تقع مدينة حران حاليا جنوب شرق تركيا عند منبع نهر البليخ أحد روافد نهر الفرات، فتحها المسلمون عام ١٨هـ/٦٣٩م، واتخذها مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية مركزا له .

ويعد الجامع الكبير في حران هو أقدم جامع في الأناضول، ويعرف بمسجد الفردوس، قال عنه الرحالة "ابن جبير" المتوفى عام ٦١٤هـ/١٢١٧م "جامعها عتيق مجدد قد جاء على غاية الحسن، وما رأينا جامعا أوسع منه حنايا، وأبوابه شبه أبواب مجالس القصو "

أجرى العالم "رايس" حفائر بالمنطقة ونشر نتائجها بعنوان "حران في العصور الوسطى"

David.Storm.Rice: Medieval Harran . Studies on its Topography and Monuments.1.Anatolian Studies.2.1952.pp.36-84

وفى عام ١٩٨٣م أجرى نور الدين ياردمير (Nurttin. Yardimer) حفائر بجامع حران .

وكتب عنه العالم الكبير " كريسول " خمس صفحات في كتابه العمارة الاسلامية المبكرة :-

K.A.C.Creswell:- Early Muslim Architecture.Umayyads Early Abbasid&Tulunids.Oxford.

ورأى "شاخو" نقشا كتابيا على يمين المدخل الشرقى للجامع باسم صلاح الدين الذى كان في حران فيما بين ٥٧٩-٥٨٢هـ / ١١٨٣-١١٨٦م .

ووصف "بروسر" الحوض المثمن في صحن الجامع. وتهدم الجامع وبقيت أجزاء منه تفيد في إعادة تصور حالته الأولى، وكان مستطيلا ١٠٤×١٠٧متر، وبقيت منارته وبعض جدرانه وعقوده ومداخله وتيجان أعمدته وزخارفها التى تؤكد أن بعضها مجلوب من عمائر سابقة على الاسلام .

• أستاذ الآثار الإسلامية ووكيل كلية الآثار جامعة سوهاج (لشئون البيئة)
hassannour1969@hotmail.com

بنى الجامع في فترتين على الأقل فعمارته تظهر تأثيرات من شمال سورية، حسب رأى "كريسول" وبقايا أعمدته تعتبر امتدادا للتقاليد الكلاسيكية، لكن تخطيطه المربع يتبع أقدم مساجد العراق، وواجهاته تذكرنا بالجامع الكبير في ديار بكر المبنى فيما بين عامى ٥١٠-٥٥٩هـ / ١١١٦-١١٦٤م .

سوف نصف الجامع معماريا ونزود الوصف بإجمالى خمسة عشرة شكلا توضيحيا ولوحة ملونة من بقاياه، ونحاول قراءة ما تبقى من كتاباته العربية، ونتتبع مراحل بنائه خلال ثلاثة عصور هى العصر الأموى والزنكى والأيوبى .

الكلمات الدالة :

حران ، جوامع ، حفائر ، اعادة تصور ، أموى ، زنكى ، أيوبى .

مقدمة:

تقع مدينة حران حاليًا في جنوب شرق تركيًا (شكل رقم ١) عند منبع نهر البليخ أحد روافد نهر الفرات. وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام. [١] فتحت أيام عمر بن الخطاب على يد عياض بن غنم عام ١٨ هـ (٦٣٩م). اتخذها مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية مركزًا له؛ لأن والده كان يقيم فيها، وهو نشأ وكبر فيها، ثم سحبت منها الأضواء مدينة الرقة التي اتخذها هارون الرشيد سكنًا له وقاعدة عسكرية. [٢]

لمدينة حران تاريخ حافل ومساهمات حضارية ملحوظة في العصر الأموي (٤١-١٣٣هـ/٦٦١ – ٧٥٠م) والعصر الزنكي (٥٢١– ٦٣١هـ/١١٢٧– ١٢٣٣م)، والعصر الأيوبي (٥٦٧– ٨٦٧هـ/١١٧١-١٤٦٢م)، وهي العصور الثلاثة التي تهمنا في تاريخ وعمارة جامع حران الكبير موضوع البحث.

وأسهبت المصادر العربية في ذكر من قدم من الصحابة الكرام على حران، وذكرت نجبائها على مر التاريخ من العلماء والمفكرين والمتصوفة وغيرهم، فضلا عن حكامها ومآثرهم وآثارهم وعمائرهم. [٣]

من هذه المصادر، أبو زيد الصيرفي، أبو إسحاق الإصطخري، ابن حوقل، المقدسي، أبو الحسن الهروي، الإدريسي، المسعودي، ابن النديم، ابن شداد، ابن جبير، أبو الفدا، إلي أن نصل إلى حاجي خليفة، وأوليا جلبي في القرن ١١هـ/١٧م، وغيرهم. [٤]

---

[١] ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي): معجم البلدان، المجلد الثاني، دار الكتاب العربي، بيروت (د. ت) ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦.

[٢] د. عبد الجبار حامد أحمد، نادية محسن عزيز: الدور السياسي لمدينة حران في العصر العباسي (١٣٢-٣٨٠هـ/٧٤٩-٩٩٣م)، مجلة آداب الرافدين ، العدد ٤٩ ، لسنة ٢٠٠٨م.

(3)Seton. L loyd & William . Brice: Harran (Anatolian Studies) vol. 1. 1951, pp. 77-111.

د. محمد عبد الهادي حسن العبودي: مدينة حران في كتب البلدان في القرنين السادس و السابع الهجريين، رسالة ماجستير بكلية التربية والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة بابل، العراق، ٢٠١٤م، الفصل الثالث من هذه الأطروحة عن النشاط الفكري والعمراني والاقتصادي، والمبحث الثالث فيه عن جوامع حران ومدارسها وخنقاواتها وزواياها، ومشفاها وكنيستها وجبانتها وقلعتها وأسواقها.

[4] Kasim. Sulul: Islam Cografya Kaynaklarina Göre Harran Firdevs ulu camisi (Islam Tarihi ve Medeniyetinde Sanlurfa – 1 -) Edidorler. Prof. Dr. Kasim Sulul & others. 2016. Pp. 66-149.

جامع حران الكبير:

ذكر ابن عبد المنعم الحميري الصنهاجي (ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م) في كتابه "الروض المعطار في خبر الأقطار" يوجد في جميع قرى مدينة حران مسجد له مئذنة".[٥] وهو متأثر فى هذه العبارة بما ورد عند "ابن جبير". أما جامع حران الكبير فهو أقدم جامع في الأناضول، وهو الجامع الكبير (Ulu camii) ويعرف بمسجد الفردوس، تهدمت حاليًا معظم أجزاء الجامع، ولم يتبق منها سوي القليل(اللوحات أرقام١حتى٧) وهو لا يزال لغزًا يحتاج لحفائر علمية دقيقة تعيد لنا صورته الأولي التي كان عليها، وما طرأ عليها من تعديلات في مسيرة تاريخه، سيما وأن ما تبقي من جدران الجامع ومداخله ومئذنته يساعدنا على معرفة هيئته الأولي، مع ما نقل من بقايا تيجان أعمدته وزخارفها إلى متحف مدينة أورفا. [٦]

بني جامع حران من الأحجار الرمادية مع البازلت الأسود المستجلبة من محاجر شمال أورفا [٧]، وكان سقفه من الأخشاب المستجلبة من بلاد الروم، وصنعت أبوابه الكثيرة من الخشب بديع النقوش والصنعة.

كان موضع الجامع الكبير بحران معبدًا للصابئة فحوله عياض بن غنم إلى جامع بعد أن عوض الصابئة مكانًا آخر بنوا عليه معبدًا لهم حسبما ذكر "ابن شداد".[٨]

وأغلب الظن أن هذا الجامع قد شيد فيما بين سنتي(١٢٦-١٣٢هـ/٧٤٤ ــ ٧٥٠م) وهي الفترة التي اتخذت فيها حران عاصمة للخلافة في عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية [٩]، ثم طرأت عليه تعديلات في عصر الزنكيين والأيوبيين ، وكانت تقام فيه نشاطات علمية كثيرة على مر العصور.

وصف ابن جبير للجامع:

ابن جبير هو الرحالة العربي الوحيد الذي أسهب في وصف مسجد حران العتيق (جامع الفردوس) والمعلوم أنه زار حران في السابع من ربيع الأول سنة ٥٨٠ هجرية الموافق ١٨ من يونيو سنة ١١٨٤م، وكان يحكم حران آنئذ مظفر الدين

---

(5) Ibid, p. 99.

(6) Yasser. Tabbaa: Survivals and Archaisms in the Architecture of Northern Syria. Ca. 180-Ca. 1150. (Muqarnas) vol. 10. 1993. pp.29-41.

(7) Seton. Lloyd. & William. Brice: op. cit. p. 81.

(8) Kasim. Sulul: op. cit. p. 103.

ابن شداد هو أبو المحاسن بهاء الدين بن رافع بن شداد الأسدي الموصلي (٥٣٩-٦٣٢هـ/١١٤٤-١٢٣٤م) مؤلف كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية، وذكر فيه عدة أحداث تخص حران في عهد عماد الدين زنكي (ص ٢٩، ص ٣٣) ، وعدة أحداث عن حران على عهد صلاح الدين الأيوبي (ص ١٧٢ ، ص ١٧٩).

(٩) د. أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل)، دار المعارف بمصر، ص ٢٢٥.

كوكبوري بن زين الدين على كوجوك بن بكتكين(٥٣٢ – ٥٨٩هـ/١١٣٨ -١١٩٣م) التابع لصلاح الدين الأيوبي فقال في وصفه: "حران بلد لا حسن لديه، نبذ بالعراء في وسط الصحراء، فعدم رونق الحضارة، استغفر الله كفى بهذا البلد شرفًا أنه البلدة المنسوبة لأبينا إبراهيم عليه اسلام، لهذه البلدة أسواق حفيلة الانتظام يتصل بها جامعها المكرم، وهو عتيق مجدد قد جاء على غاية الحسن، وله صحن كبير فيه ثلاث قباب مرتفعة على سوار رخام، وتحت كل قبة بئر عذبة، وفي الصحن أيضًا قبة رابعة عظيمة قد قامت على عشر سوار من الرخام، دور كل سارية تسعة أشبار، وفي وسط القبة عمود من الرخام عظيم الجرم دوره خمسة عشر شبرًا، وهذه القبة من بنيان الروم وأعلاها مجوف كأنه البرج المشيد، يقال أنه كان مخزنًا لعدتهم الحربية، والجامع المكرم سقف بجوائز الخشب (عوارض) بين حائطين والحنايا، وخشبه عظام طوال لسعة البلاط وسعته خمس عشرة خطوة، وهو خمسة أبلطة، وما رأينا جامعًا أوسع حنايا منه، وجداره المتصل بالصحن الذي عليه المدخل إليه مفتح كله أبوابًا عددها تسعة عشر بابًا، تسعة يمينًا، وتسعة شمالا، والتاسع عشر منها باب عظيم وسط هذه الأبواب، يمسك قوسه من أعلى الجدار إلى أسفله بهي المنظر جميل الوضع كأنه باب من أبواب المدن الكبار، ولهذه الأبواب كلها أغلاق من الخشب البديع الصنعة والنقش تنطبق عليها شبه أبواب مجالس القصور، فشاهدنا من حسن بناء هذا الجامع وحسن ترتيب أسواقه المتصلة به مرأي عجيبًا قلما يوجد في المدن مثل انتظامه، والبلد كثير المساجد جم المرافق ..." .[١٠]

أجريت الحفائر العلمية في موقع الجامع الكبير بحران، ثم تناولته الدراسات والبحوث التي استفادت كثيرًا من وصف ابن جبير له ومن نتائج تلك الحفائر.

فقد أجرى "ديفيد رايس" حفائر بالمنطقة فيما بين عامي (١٩٥١–١٩٥٦م)، ونشر نتائجها، وذكر أن مقاسات الجامع كانت١٠٤×١٠٧ متر، وارتفاع منارته ٣٣،٣٠ مترًا، وأن له محرابًا وميضأة ، ومداخل ، وأن ثمة تعديلات كثيرة طرأت عليه بعد العصر الأموي.[١١]

وفي عام ١٩٨٣م أجرى "نور الدين يردمير" (Nurttin. Yardimer) حفائر بالجامع المذكور، واكتشف أن ثمة مجموعة من الأحجار المزخرفة المستخدمة في البناء كانت من قبل بكامل زخارفها في معابد قديمة ثم أعيد استخدامها في جامع

---

[١٠] رحلة ابن جبير، دار صادر للطباعة، بيروت، ١٩٦٤م، ص ٢١٩، وهذا الرحالة عاش فيما بين (٥٣٩-٦١٤هـ/١١٤٤-١٢١٧م).

[11] David. Storm. Rice: "Medieval Harran" Studies on its Topography and Monuments- 1 - Anatolian Studies – 2 – 1952. pp. 36-84.

الفردوس (اللوحتان رقما ٨،٩) وزخارفها من شوكة اليهود (الأكانتش) وتفاصيل نباتية وهندسية محفورة.

أما الدراسات فلعل أقدمها إشارة الآنسة "بل" لجامع حران الكبير في سبع صفحات من كتابها عن قصر الأخيضر ومسجده. (١٢)

ثم توالت الدراسات ولم تتوقف وكلها تحاول تخيل وصف الجامع وتحاول تأريخه وما طرأ عليه من إضافات وتعديلات لاحقة، من هذه المحاولات دراسة "كارل إدوارد شاخو" "Carl Edurad Sachau" (١٨٤٥–١٩٣٠م)، "م. فيت" "M. wiet"، "A. Kurkcu. Oglu "، "T. A. Sinchair"، "C. J. Gadd"، كريسول "K. A. C. Creswell" وغيرهم.(١٣)

وصف "كريسول" للجامع:

شاهد "كريسول" آثار الجامع واعترف بأنه عاجز عن أن يضع صورة صحيحة لرسمه التخطيطي نظرًا لاختلاف أوضاع الأنقاض المتخلفة عن الجامع والتي تبدو له غاية في الغرابة والتعقيد. (١٤)

كما أنه أخطأ في تحديد اتجاه الشمال وبالتالي اتجاه القبلة، وإن كان قد صححه في كتابه المختصر. (١٥)

ووصف جامع حران بأنه مستطيل مساحته مائة متر مربعًا تقريبًا، مبني من الأحجار المربعة المنحوتة بمداميك، متوسط ارتفاعها ٣٧ سم، وأفضل جزء متبقي منه هو الجدار الشرقي الذي يرى نصفه الشرقي تقريبًا سليمًا، ما عدا فجوة في الوسط بطول ستة أمتار تقريبًا (لوحة رقم ٣)، والقسم الأخير منه قدره ٩،٤٢ متر منحرف إلى الغرب مقدار ستة سنتيمترات، وهناك مدخل مهيب شمال واجهة الحرم مباشرة (لوحة رقم ٥) كما في جامع دمشق، واختفى الجدار الغربي تقريبًا، ولكن يبدو أنه كان هناك مدخل في هذا الجانب مقابل للمدخل المذكور لأنه كان بالإمكان رؤية آثار جدارين متوازيين يبعدان عن بعضهما ٢،٧٥ مترًا، يؤديان إلى هذه النقطة، وقد بقيت مداميك في النصف الشرقي من الجدار الشمالي، وفتحة المدخل الشمالي أيضًا الباقية في المنتصف تقريبًا، ويوجد في منتصف المسافة بينه وبين

---

(12) Gertrude. Bell: Palace and Mosque At Ukhaidir. Oxford: 1914. pp. 152-158.

(13) Kasim. Sulul: op. cit. pp. 104-114.

(14) K. A. C. Creswell: Early Muslim Architecture. Umayyads, Early Abbasids & Tulunids. Oxford. Part – 1- p. 407, fig. 49.

د . أحمد فكرى، المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

(15) K. A. C. Creswell: Short Account of Early Muslim Architecture. Lebanon, Beirut. 1958. PP. 151-155, fig. 29.

الزاوية الشمالية الشرقية عمود المئذنة المربع الطويل الذي يبلغ قطره الخارجي ٥،٣ مترًا ، وقطره الداخلي ٣،٨٣ مترًا. [١٦]

وكان في الصحن حوض مثمن محيطه الإجمالي ٦،١ مترًا، يقول "بروسر" أن محيط المثمن يحمل علامات قواعد الأعمدة الواضحة وقطع عديدة من الأعمدة – التي كانت تحمل القبة – ملقاة بالقرب منها، وكل ذلك يعزز ما ذكره ابن جبير عن هذه القبة أنها من بنيان الروم وأعلاها مجوف كأنه البرج ويقال أنها مخزنًا لعدتهم الحربية، وفي الحقيقة هي لم تكن مجرد قبة فوق أعمدة بل غرفة كروية فوق أعمدة بمثابة بيت مال يشبه مثيله في جامع دمشق.

الحرم:

واضح من تفحص الوجه الداخلي للجدار الشرقي (لوحة رقم ٤) أن الحرم تألف من أربعة أروقة تمتد من الشرق إلى الغرب، لكن ما تبقى منه الآن هو عدد من العضائد ولا يزال عموداه قائمين مع عشرة أعمدة ملقاة على الأرض، والعقد الوحيد الذي لا يزال قائمًا هو العقد المركزي الكبير للرواق الذي يلي الصحن، هذا الرواق يمكن إعادة تصميمه بفضل وصف ابن جبير السابق له.

ولنحاول الآن إعادة تصميم الواجهة، فالعقد المركزي من النوع المدبب، وذو منحني خارجي متدرج، إنه يرتكز على عضادتين عظيمتين، ويبلغ باعه ٨،٣٢ مترًا، وإلى الغرب منه عضادة أصغر(D)ملتصق بها تاج ولكن العمود العائد لها ملقي على الأرض، والوجه الخلفي لهذه العضادة على خط واحد مع الوجه الخلفي للعقد الكبير، وإلى الغرب من العضادة(D)يوجد عمود(E)من الحجر الكلسي زهري اللون، والمسافة من الجانب الغربي للعضادة(D)إلى مركز العمود تبلغ٧،٣٢ مترًا أي أن المسافة بين المركزين٨،٠٢ مترًا، والوجه الخلفي لهذا العمود على خط واحد من الوجه الأمامي للعضادة (D) لذلك فإنه بكل تأكيد يخص عضادة مشابهة اختفت، كما أنه من الواضح بأنه كان هناك دعامة أخرى مشابهة بينها وبين العضادة (D) وإذا أدخلنا عضادة أخرى بعرض ١،٤ مترًا نحصل على فتحتين كل منهما بعرض ٢،٦١ مترًا، وهى المسافة التى نريدها بالضبط، لو أدخلنا العضادات الأخرى تبعا لذلك فإننا نجد أن هناك مكانًا لتسعة عقود بين العقد الكبير للاتصال بالرواق الغربي، ويمكن إعادة نفس العملية في الجانب الآخر، وبهذا نحصل على عقود (أقواس) ابن جبير التسعة عشر.

---

[١٦] ك. كريسول، الآثار الإسلامية الأولي، نقله إلى العربية عبد الهادي عبلة، استخراج نصوصه وعلق عليه أحمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، مطبعة خالد بن الوليد، الطبعة الأولي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، من ص ٢٠٥ حتى ص ٢١٠.

وكل فتحة من هذه الفتحات الثماني عشرة الجانبية كان يعلوها عقدان أحدهما يرتكز على العضائد والآخر أكبر منها ويرتكز على الأعمدة المتصلة، وهذه العقود الأخيرة كانت من نوع يميل إلى حدوة الفرس قليلا وتشكل إطارًا للأقواس الأولى.

أما بخصوص داخل الحرم فإنني عاجز عن تقديم أي اقتراح لإعادة تصميم له لأن الشذوذ هنا غريب ولا يمكن تعليله، ويبدو أن دعائم الأروقة المختلفة لم تتوافق مع بعضها، كما يبدو أنه لم يكن هناك نفس العدد من الأعمدة بين العضائد المختلفة، وبالإضافة إلى ذلك في حين يبلغ باع العقد المركزي في الواجهة ٨،٣٢ مترًا فإن باع القوس التالي هو ستة أمتار، وباع العقد المركزي في الصف الخلفي هو ٣،٣ مترًا فقط، كما أن محور المحراب يبعد خمسة أمتار إلى غرب المركز، والتنقيب وحده هو الذي يقرر الشكل الحقيقي للمحراب. [١٧]

أما " أحمد فكري " فيقول: "لا يبدو لي الأمر مثلما قال كريسول، فحدود الجامع ظاهرة واضحة المعالم، وبيت الصلاة فيه محدود، كذلك نواحيه الأربعة وآثار الدعامات التي كانت تقوم عليها الحنايا ظاهرة متصلة بالجدار الشرقي لهذا البيت، وجوفة المحراب قائمة في جدار القبلة، وبضعة من أبواب بيت الصلاة على الصحن مازالت أسسها قائمة، وآثار الباب العظيم وسط هذه الأبواب باقية، وكل هذه التفاصيل من نظام تخطيط الجامع ظاهرة على الرسم الذي نشره كريسول (شكل رقم ٢) وجميعها كذلك مطابق لوصف ابن جبير فيما عدا تفصيل واحد وهو أن ابن جبير ذكر أن بلاطات بيت الصلاة "خمسة" وأسس الدعامات لا تصلح لغير أربعة بلاطات، وقد حاولت أن أوفق بين وصف ابن جبير وبين آثار أسس الجامع، ووضعت له رسمًا تخطيطًا (شكل رقم ٣) وفيه يبلغ طول جدار القبلة ١١٠ مترًا، وجوف بيت الصلاة ٣٨ مترًا، ولا يتوسط المحراب جدار القبلة، ولا يواجه "الباب العظيم" المطل على الصحن وتمتد في بيت الصلاة ثلاثة صفوف من الدعامات تقسمه إلى أربع بلاطات فسيحة، وهو ما يخالف افتراض "سوفاجيه" غير المعقول بأن جامع حران في العصر الأموي كان يشمل ثلاث بلاطات، وأن بيت الصلاة كانت تتوسطه بلاطة فسيحة. [١٨]

---

[١٧] المرجع السابق.

[١٨] د. أحمد فكري، المرجع السابق، ص ٢٢٦.

الأصول المعمارية:

إن تخطيط جامع حران وعمارته تتبع التقاليد السائدة فيما بين النهرين التي كانت تشكل وحدة مع سورية الشمالية، فمخططه استمرار لأقدم مساجد العراق في جامع الكوفة وجامع واسط وجامع الرقة (شكل رقم ٤). [١٩]

وبالنسبة للواجهة المطلة على الصحن ذات الأعمدة المتصلة بالواجهات الأمامية للعضائد فإنها تذكرنا فورًا بعمل الإينياليديون في المسجد الكبير في ديار بكر بين عامي (٥١٠ – ٥٥٩هـ/١١١٦ – ١١٦٤م).

والأعمدة ذات المنحني الخارجي المتدرج تعتبر امتدادًا للتقاليد الكلاسيكية.

والمنارة (لوحة رقم ١٠) بمسقطها المربع استخدمت للآذان وكذلك كانت مرصدًا فلكيًا[٢٠] وهي تشبه كثيرًا منارة جامع حلب الكبير الذي يرجع لعام ٤٨٢هـ/١٠٨٩م[٢١]، وإن كان البناء الأول لجامع حلب الكبير إنما يرجع لعام (٩٧–٩٨هـ/٧١٥-٧١٦م) عندما أمر الخليفة سليمان بن عبد الملك بإنشائه، والزخارف على بقايا تيجان الأعمدة الرخامية تظهر تأثيرات فنية سابقة على الإسلام، أما النقوش الكتابية المتبقية فهي باللغة العربية بخط الثلث، غليظ الطوالع وقصيرها، وهو السائد في المنطقة في القرن ٦هـ/١٢م.

إذن اشتملت عمارة الجامع المتبقية خليط من التأثيرات الفنية التي كانت سائدة في كل الأوابد الأموية، والزنكية، والأيوبية، ذلك أن المغول عندما دخلوا مدينة حران خربوها وهدموا جامعها الكبير، كما هدموا منازلها رأسًا على عقب، وهرب أهلها ومعهم الصناع، فنقل المغول غنائمهم من حران إلى ماردين والموصل، حتى أخشاب جامع حران الكبير ومقتنياته الثمينة أخذوها. [٢٢]

تأريخ الجامع:

يبدو أن عمارة الجامع قد مرت بثلاث مراحل هي الأموية والزنكية والأيوبية، وليس بفترتين كما ذكر كريسول عندما قال: " تفحص الواجهة الغربية يجعل المرء يفكر بوضوح تام أننا نتعامل مع فترتين على الأقل لأن هناك انقطاعًا كاملا بالتوصيل بين القسم الثاني والثالث وارتفاع قاعدة الجملون الحجري إلى اليمين يصل إلى أكثر من ارتفاعه إلى اليسار، وأن الأقواس التي شكلت واجهة الحرم في يوم من

(19) Kasim. Sulul: op. cit. fig. 489. p. 136.
(20) http://www.gettyimages.com/detail/photo/ruins-of-the-ancient-university-of-harran-and-the-royalty-free-image/521988915
(21) Yasser. Tabbaa: op. cit. figs. 5. p. 32.
(22) kasim. Sulul: op. cit. p. 100.

الأيام متوضعة في حالتين تمامًا ، كما سقطت واجهتها إلى الأمام فوق الأرض، ولكن الأحجار في حالات أخرى تتوضع على جانبها. [٢٣]

(أ) المرحلة الأموية:

يستنتج من خلال معلومات المصادر العربية، وكذلك بعض الظواهر المعمارية أن جامع الفردوس بني في أواخر العصر الأموي، ربما في عهد الوليد (الأول) بن عبد الملك، أو في عهد مراون (الثاني) بن محمد، فالاستنتاج العلمي الحاسم يحتاج لأدلة قاطعة وليس لقرائن وتخمينات.

ففي أحد المواضع يقول كريسول: "ليس من الممكن تجاهل احتمالية كون الوليد الأول قد بني جامع الفرودس الكبير في حران. وقد يعضد ذلك كثرة انتصاراته وازدهار الاقتصاد في عهده، وانتشار العمران الديني بالبناء والتجديد، مثل الجامع الأموي بدمشق والمسجد الأقصى والمسجد النبوي وجامع عمرو بالفسطاط، وغيرها، لدرجة أن الوليد كان متحمسًا جدًا لبناء مسجد جامع في كل مدينة. [٢٤]

لكن "كريسول" يقول في موضع آخر: "إنني أشكك كثيرًا في أن الوليد الأول أو أي خليفة آخر قبل مروان الثاني قد فكر في بناء جامع هناك، لكن الأخير هذا هو آخر خليفة أموي وهو الذي اتخذ من حران عاصمة له ، ولابد أن الحاجة لمسجد جامع هناك أصبحت ملحة، ولذلك فإني أنسب أقدم جزء من المسجد له. [٢٥]

وقد يقوي ذلك الرأي إضافة بعض القرائن المدعمة مثل قراءة خطبة الجمعة لمروان الثاني على منبر جامع الفردس، حسبما ورد في بعض المصادر، فربما هو المنشيء أو المجدد له.

وأيضا عثر العالم (C. J. Gadd) في بناء مجاور لجامع الفردوس على نقش كتابي كان مدون عليه اسم مروان الثاني لكن القرويين خربوا ذلك النقش، وفي ذلك محاولة من "جاد" تثير الشك في أن مروان الثاني وحده هو الذي بني جامع الفرودس. [٢٦]

---

[٢٣] ك. كريسول: المرع السابق، ص ٢٠٩.

[24] Kasim. Sulul: op. cit. p. 107.

[٢٥] ك. كريسول: المرجع السابق، ص ٢٠٩.

[26] kasim. Sulul: op. cit. p. 104.

(ب) المرحلة الزنكية:

يبدأ وجود الزنكيين في حران عندما أسند "محمود بن محمد بن ملكشاه" حكم الموصل وحران وحلب إلى عماد الدين زنكي عام ٥٢١هـ/١١٢٧م، واستمر هذا الوضع حتى عام ٥٨٢هـ/١١٨٦م.

وتؤكد بعض المصادر العربية والآثار المادية أن ثمة إضافات وتجديدات حدثت على جامع الفردوس في العصر الزنكي.

ذكر ابن شداد أن نور الدين محمود زنكي أمر بإنشاء المدرسة النورية في حران، وأنه "جدد جامع حران الكبير وزاد فيه"، وأنه أسند مهمة عمارة جامع الفرودس إلى الفقيه الزاهد ابن أبي حجر الحراني الحنبلي (٥١٣– ٥٧٠هـ/١١١٩ -١١٧٥م) فهو موضع ثقته، فما قصر فيما أوكل إليه، فسافر بنفسه إلى بلاد الروم واستجلب الأخشاب التي يحتاجها الجامع، وتولي نشرها بنفسه.

ويتمثل الدليل الأثري الحاسم في تاج العمود الذي عثر عليه بين أنقاض جامع الفردوس، حيث نقشت عليه كتابة باللغة العربية بخط الثلث (لوحة رقم١١) نفذت على خلفية نباتية من زخارف الأرابسك، نصها "كان فراغه سنة سبعين وخمسمائة" وتشير الكتابة صراحة أن الانتهاء من عمارة الجامع كانت في عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م، وهو العام الذي توفي فيه الفقيه ابن أبي حجر الحراني الحنبلي، ومع أن نور الدين محمود زنكي قد توفي قبله بعام أي سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م، إلا أن مضمون الكتابة التذكارية يؤكد أن الآمر بالعمارة والتجديد للجامع هو الراعي والحاكم وأن عبارة ابن شداد "وزاد فيه" تؤيدها الشواهد المعمارية بأن نور الدين زنكي قد أضاف رواقًا ثالثًا مطلا على صحن الجامع. (٢٧)

لم يولي (D. S. Rice) هذه الكتابة المؤرخة المهمة كبير اهتمام واكتفي بقوله أن التاريخ الهجري المحفور على التاج يقابل عام ١١٧٤م، بل أن أحدهم "لمز" بأنه في الوقت الذي كان نور الدين يجدد جامع حران الكبير كانت كنسية "أورفا" خربة تمامًا، ولم يتبق منها سوي قنطرة كانت منصوبة، أي لعله يلمح بأن التاج المؤرخ منقول من خرائب الكنيسة.

(27) Ibid, p. 110.

(ج) المرحلة الأيوبية:

حكم الأيوبيون حران فيما بين عامي ٥٨٢ – ٦٥٨هـ/١١٨٦-١٢٥٩م، وبنوا فيها عمائر كثيرة منها أسوار مدينة حران، وقلعتها، وضريح الشيخ يحيي الحراني، وبعض الخانات والقلاع والمساجد، فثمة المعلومات عن بعض الأعمال التي أجريت على جامع حران الكبير في العصر الأيوبي سبق أن ذكرها الرحالة ابن جبير الذي زار حران في السابع من ربيع الأول عام ٥٨٠هـ/الموافق ١٨ من يونيو عام ١١٨٤م، ووصف جامع الفردوس في وقت كان يحكم المدينة مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين على كوجوك بين بكتكين، من قبل صلاح الدين الأيوبي، والثابت أن صلاح الدين مكث في حران ثلاثة شهور من عام ٥٧٨هـ/١١٨٢م، كما تواجد فيها فترات قصيرة من عامي ٥٨١-٥٨٢هـ/١١٨٥-١١٨٦م، عندما اشتد عليه المرض.

وعندما وصف ابن جبير جامع حران كان مكتملا في عمارته بهيجًا في أبوابه وزخارفه، وهو ما يتأكد معه أن ثمة عمارة وإضافات طرأت على الجامع بعد عشر سنوات فقط من عمارة نور الدين زنكي له عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م، وذلك أن العالم " كارل إدوارد ساخو" عثر على نقش كتابي كان موجودًا على يمين المدخل الشرقي للفناء، وهو مدخل عقده كحدوة الفرس (لوحة رقم ٧) والكتابة باللغة العربية، بخط الثلث، نصها كالآتي: "أطلق مولانا الملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين الدنيا والدين" وباستقراء كل ألقاب صلاح الدين الأيوبي على آثاره نجد أنه لم يتخذ ألقاب "مولانا الملك السلطان الملك الناصر" كما أن النص نفسه الذي قرأه "كارل إدوارد"[٢٨] رديء وسيىء وصعب القراءة لما لحقه من تآكل، حتى أن "A. Kurkcu. Oglu" أكمل قراءة بقية النقوش الكتابية الموجودة على المدخل كالآتي: "... بيد الوزير الكامل ... القائم المعظم في سنة ثمانين وثمانية خمسمائة " وهي تقابل عام ١١٩٢م، وتقع في فترة حكم الملك الكامل لبلاد الجزيرة وحران أثناء مرض عمه وحماه صلاح الدين الأيوبي، والملك الكامل هو أبو المعالي الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب (٥٧٦-٦٣٥هـ/١١٨٠-١٢٣٨م).

أما الزخارف البارزة المحفورة على ما تبقى من مداخل جدران جامع حران الكبير فإن "G. L . Bell" تقول عنها: "إنها تتسم بكل خصائص الزخارف الأيوبية بنظائرها المتبقية بجامع سلوان الكبير وغيره من العمائر الأيوبية المتبقية في ديار بكر وشانلي أورفا وكيفا وغيرها."[٢٩]

---

[٢٨] ذكر هذه الدراسة "صالح شلول" وهي بعنوان: "Rise in Syrien und Mesopotamien"

[29] Kassim. Sulul: op. cit. pp. 113-116.

وتخلص دراسات "رايس" و"كريسول" وغيرهما بإضافة رواق رابع لبيت الصلاة مطل على صحن الجامع الكبير بحران.

وهكذا يخرج "صالح جلول" بنتائج أربع من كل دراسات السابقين لجامع الفردوس، ويحصرها في الآتي:

١. بني "عياض بن غنم" جامع الفردوس في مكان كان يستخدم من قبل كمعبد للصابئة ثم كنيسة للروم، واستمر ذلك الوضع حتى العصر الأموي.
٢. هدم البناء القديم في أواخر العصر الأموي باستثناء قبة كبيرة، وأنشيء الجامع بتصميم جديد يتكون من رواقين لبيت صلاة يطل على صحن مكشوف.
٣. قام نور الدين زنكي بتجديد الجامع وزاد رواقا ثالثا لبيت الصلاة يطل على الصحن.
٤. أضيف الرواق الرابع لبيت الصلاة مطلا على الصحن في العصر الأيوبي حتى اكتمل الشكل النهائي للجامع الذي خربه المغول تمامًا. (٣٠)

(30) Ibid, p. 114.

المراجع العربية والأجنبية

أولا – المراجع العربية :-

- د. أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل)، دار المعارف بمصر .
- د. عبد الجبار حامد أحمد، نادية محسن عزيز: الدور السياسي لمدينة حران في العصر العباسي (١٣٢-٣٨٠هـ/٧٤٩-٩٩٣م)، مجلة آداب الرافدين ، العدد ٤٩ ، لسنة ٢٠٠٨م.
- رحلة ابن جبير (٥٣٩-٦١٤هـ/١١٤٤-١٢١٧م) ، دار صادر للطباعة، بيروت ، ١٩٦٤م .
- ابن شداد (أبو المحاسن بهاء الدين بن رافع بن شداد الأسدي الموصلي) (٥٣٩-٦٣٢هـ/١١٤٤-١٢٣٤م) :- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية .
- ك. كريسول: الآثار الإسلامية الأولي ، نقله إلى العربية عبد الهادي عبلة، استخراج نصوصه وعلق عليه أحمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق ، مطبعة خالد بن الوليد، الطبعة الأولي ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
- د. محمد عبد الهادي حسن العبودي: مدينة حران في كتب البلدان في القرنين السادس و السابع الهجريين، رسالة ماجستير بكلية التربية والعلوم الإنسانية ، قسم التاريخ ، جامعة بابل ، العراق، ٢٠١٤م .
- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي): معجم البلدان، المجلد الثاني، دار الكتاب العربي، بيروت (د. ت) .

ثانيا - المراجع الأجنبية :-

(Gertrude) Bell: Palace and Mosque At Ukhaidir. Oxford: 1914.

- (K. A. C) Creswell: Early Muslim Architecture. Umayyads, Early Abbasids & Tulunids. Oxford. Part – 1-

- (K. A. C) Creswell: Short Account of Early Muslim Architecture. Lebanon, Beirut. 1958.

- (David. Storm) Rice: "Medieval Harran" Studies on its Topography and Monuments- 1 - Anatolian Studies – 2 – 1952.

- Seton. L loyd & William . Brice: Harran (Anatolian Studies) vol. 1. 1951

- (Kasim) Sulul: Islam Cografya Kaynaklarina Göre Harran Firdevs ulu camisi (Islam Tarihi ve Medeniyetinde Sanlurfa – 1 -) Edidorler. Prof. Dr. Kasim Sulul & others. 2016 .

- (Yasser) Tabbaa: Survivals and Archaisms in the Architecture of Northern Syria. Ca. 180- Ca. 1150. (Muqarnas) vol. 10. 1993.

ثالثا – مواقع النت :-

- http://www.gettyimages.com/detail/photo/ruins-of-the-ancient-university-of-harran-and-the-royalty-free-image/521988915

https://dome.mit.edu/handle/1721.3/54979

http://www.archeolog-home.com/pages/content/harran-turquie-remnants-of-the-world-s-first-islamic-university.html

http://www.livius.org/pictures/turkey/harran/harran-mosque-classical-capital

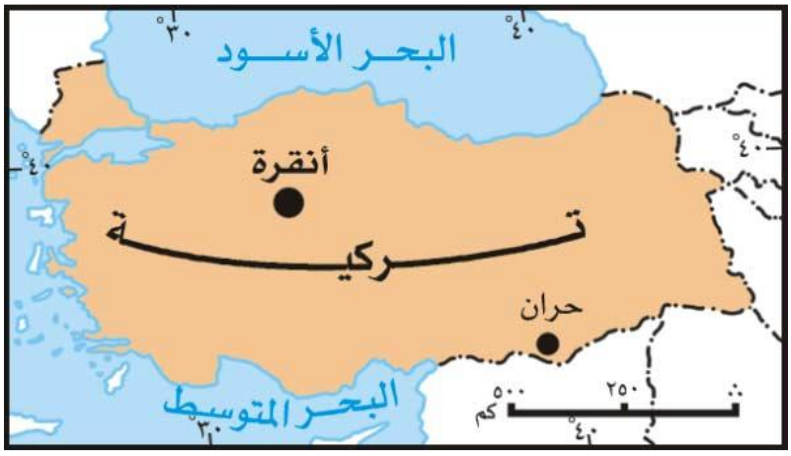

شكل رقم (١) موقع مدينة حران في تركيا .

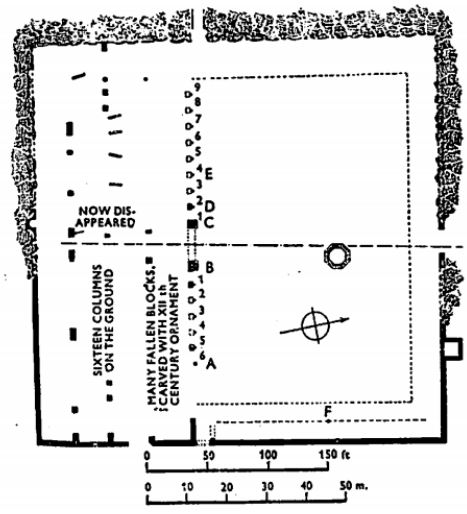

شكل رقم (٢) مخطط الجامع الكبير في حران ، عن :- كريسول ، الآثار الاسلامية الأولى ، شكل ٢٩ ص ٢٠٦

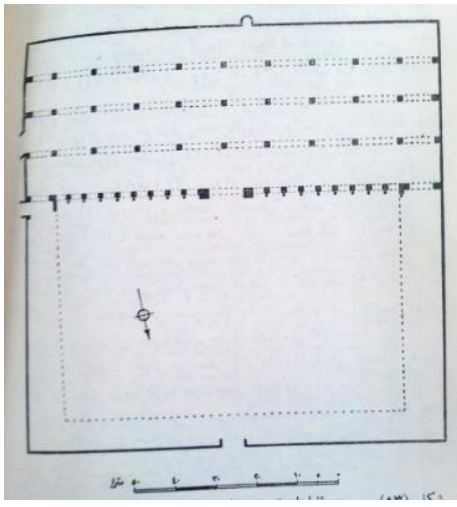

شكل رقم (٣) رسم تخطيطي للمسجد الجامع بحران، عن :- د. أحمد فكرى :- المرجع السابق ، شكل ٩٣ ص ٢٢٦ .

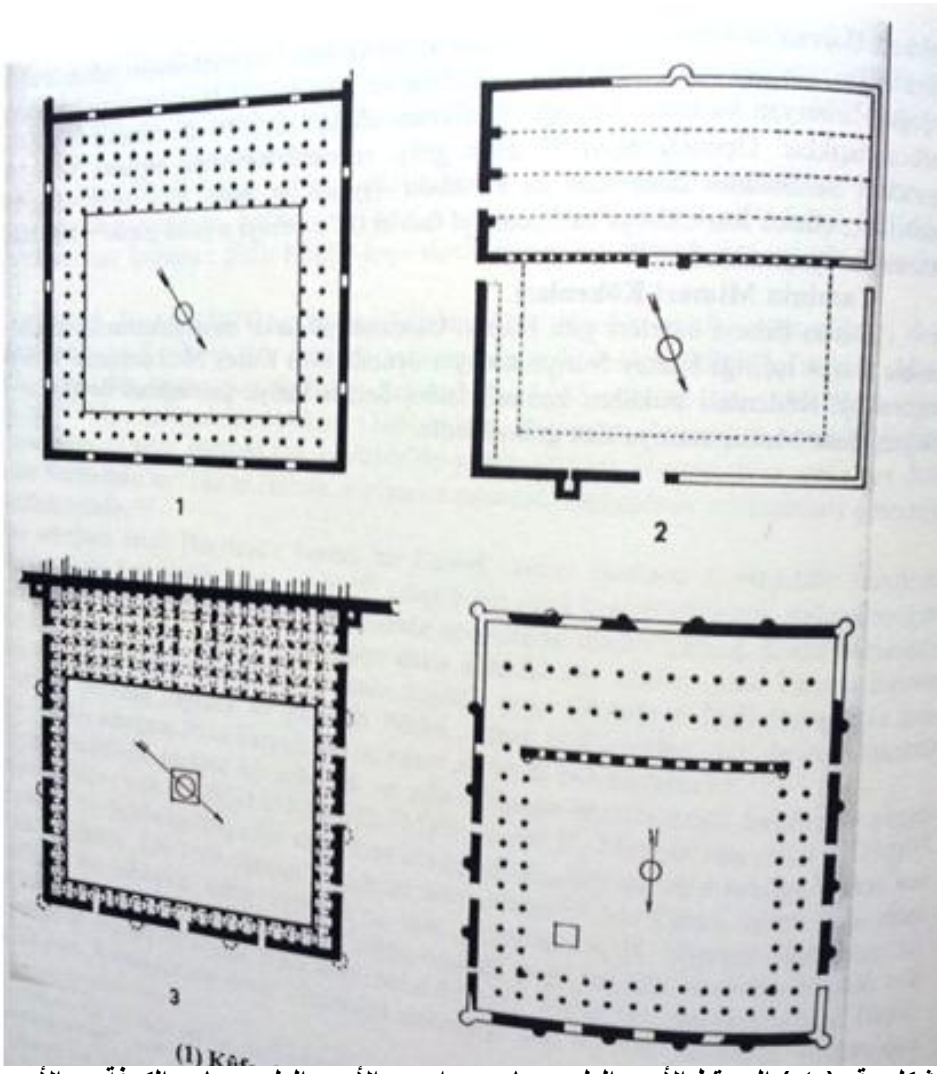

شكل رقم (٤) المسقط الأيمن العلوى جامع حران ، والأيسر العلوى جامع الكوفة ، والأيمن السفلى جامع الرقة ، والأيسر السفلى جامع واسط .

Kasim sulul: islam cografya kaynaklarina gore Harran Firdevs Ulu Camisi . Figur 489 .p . 136

لوحة رقم (١) بقايا جامع حران . عن :-

Seton Lloyd & Willian.Brice :- Harran (Anatolian Studies) vol.1.1951.pl.7-1.p. 81

لوحة رقم (٢ - ٣) بقايا جدران الواجهة الشرقية من الخارج لجامع حران .

https://dome.mit.edu/handle/1721.3/54979

لوحة رقم (٤- ٥) اليمنى بقايا جدران الواجهة الشرقية من الداخل لجامع حران ، اليسرى عقد حدوة فرس وصنج مفصصة ونقوش كتابية بأحد مداخل جامع حران .

لوحة رقم (٦ – ٧) بقايا جامع حران من العصر الأيوبى .

https://dome.mit.edu/handle/1721.3/54979

http://www.archeolog-home.com/pages/content/harran-turquie-remnants-of-the-world-s-first-islamic-university.html

لوحة رقم (٨) بقايا تيجان بزخارف أرابيسك وورقة الأكانثس (شوكة اليهود) بالجامع الكبير بحران .

http://www.livius.org/pictures/turkey/harran/harran-mosque-classical-capital

لوحة رقم (٩) بقايا تيجان من الجامع الكبير في حران ، محفوظة بمتحف أورفا ،١١٧٤م (٤٦٧هـ) عن :-

Yasser.Tabbaa :- Survivals and Archaisms In the Architecture of Northern Syria .Ca-1150- Ca.1150.(Muqarnas) vol.10.1993.Fig.15.p39

لوحة رقم (١٠) اليمنى منارة جامع حران، واليسرى منارة جامع حلب الكبير ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م.

Yasser.Tabbaa :- Survivals and Archaisms In the Architecture of Northern Syria .Ca-1150- Ca.1150.(Muqarnas) vol.10.1993.Fig.5.p32

http://www.gettyimages.com/detail/photo/ruins-of-the-ancient-university-of-harran-and-the-royalty-free-image/521988915

لوحة رقم (١١) نقش باللغة العربية بالخط الثلث نصه " كان فراغه سنة سبعين وخمسمائة

Kasim sulul: islam cografya kaynaklarina gore Harran Firdevs Ulu Camisi .p . 110

The Great Mosque of Harran, Historical Architectural Study

prof. Hassan Mohammed Nour Abdel Nour•

Abstract:

The city of Harran is currently located in southeastern Turkey at the source of the River Balikh, one of the tributaries of the Euphrates River, opened by the Muslims on 18 AH / 639 AD, and taken by Marwan bin Mohammed, the last successors of the Umayyad structure center.

The Grand Mosque of Harran is the oldest mosque in Anatolia and is known as the Mosque of Paradise. The traveler Ibn Jubayr, who died in 614 AH / 1217 AD, said: "Its mosque was a very old mosque.

The world conducted "Rice" excavations in the region and published its findings entitled "Harran in the Middle Ages"

David.Storm.Rice: Medieval Harran. Studies on its Topography and Monuments.1.Anatolian Studies.2.1952.pp.36-84

In 1983, Nurttin Yardimer conducted excavations at the University of Harran.

The great scientist Creswell wrote about him in his early Islamic architecture:

K.A.C.Creswell: - Early Muslim Architecture.Umayyads Early Abbasid & Tulunids.Oxford.

• **Professor of Islamic Archaeology Department, Faculty of Arts, University of Sohag – Egypt** hassannour1969@hotmail.com

Sakho saw a written inscription on the right of the eastern entrance of the mosque in the name of Saladin, which was in Harran between 579-582 / 1183-1186.

Prosser described the octagonal basin in the Courtyard of the whole. The mosque was destroyed and parts of it remained useful in re-visualizing its first condition. It was a 104 x 107 meter rectangle, and its walls, minaret , columns, entrances, crowns, pillars and decorations, some of which were pre-Islamic, remained.

The mosque was built in two periods at least. Its architecture shows the effects of northern Syria. The remains of its columns are an extension of the classical tradition, but its square layout follows the oldest mosques in Iraq, and its facades remind us of the large mosque in Diyarbakir between 510-559 / 1116-1644.

We will describe the whole of the mosque and provide the description with thirteen colored plates of its remains, with its plan taken from "Creswell" and try to read the rest of his writings Arabic copy**.**

Keywords:

Haran – mosques – excavations - Re-visualization – Amoy -- Zinky - Ayoubi